وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

ليل البتول



ناهدة عقل

من الشعر العربي ١٩٩

ليلُ البَتُول

تصميم الغلاف:
رفـاه الحـو

ناهـدة عقـل

ليــلُ البَتـُول

شعر

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٢م

ليل البتول : شعر / ناهدة عقل . - دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٢م . - ٨٨ ص؛ ٢٠ سم.

(من الشعر العربي؛ ١٩٩)

١ - ٨١١,٩ ع ق ل ل ٢ - العنوان ٣ - عقل
٤ - السلسلة

مكتبة الأسد

من الشعر العربي

«١٩٩»

إلى أجمل آلهة الشِّعر:

جوزف حرب   نزيه أبو عفش

ما أغناكِ بهذا الفقر!

لأن «الغيرةَ» مبْغَضةٌ في عرفِ الشعراء، سأقول: أغبطك.

بقدر ما تمنّيتُ أن أكون أنا من قال هذه اللؤلؤة:

«لن أطلب

وآمل ، مهما اشتدّ بيَ الضعف،

ألاّ أُجاب»...

أغبطك.

.. ..

.. وها أنتِ الآن، مسفوحةً على وريقاتِ هذا الدفترِ - دفترِ حياتكِ المشكوكِ في جدواه وجدواها - لا تطلبين ولا تأملين أن تُجابي.

فإذنْ : ما الذي؟ . . . وما الذي؟ . . . . .

«نكتبُ، أو نعيش؟» : ذلك ما يسأله الشعراءُ عادةً.

وأعرف أنكِ، بالشجاعةِ اللائقةِ بمن ابتُلوا بنعمةِ السؤال، اخترتِ الكتابة.

نعم، لهذا أحبُّ ما أنتِ عليهِ، تماماً كما أحبُّ جميع المرضى والمعاقين وفاقدي الأمل: أحبّ عنادَ المهزومين.

أعرفُ ما أنتِ ومن أنت . لهذا أعرف كم أنتِ موشكةٌ على بلوغِ الحافّةِ ومهدّدةٌ بالخسران .. الخسرانِ الذي - في عقيدةِ الشعراء - أثمنُ من كلّ فوز وأنبلُ من كلّ مشتهى.

اطمئني إذنْ إلى ما أنتِ فيهِ وما أنتِ ماضيةٌ إليه. اطمئني إلى خيبةِ السؤالِ وبؤس المسعى. مثلُكِ لا يكسبُ إلاّ عزلتَه وشقاءَ نفسه. مثلكِ لا يربح. مثلكِ لا يليق به الربح. مثلكِ يكابدُ . . ويرضى .

: ذلكَ هو امتيازُ الشعر، وتلك غايته .

الشعر إقامةٌ في الليل.

.. ..

«في الليل أطمئن

لأن أعدائي ينامون».

بلى ! ينامون، ولكنهم لا يغفلون. ينامون بكامل الأسلحةِ وكاملِ عتاد الخوف. ينامون .. وتحلمين خلاصاً من النوم : تحلمين نجاةً ، ويحلمون موتك. تلتجئين إلى النوم ، وتحتمين منه. تتوسّلين إلى الأحلام، وتهربين منها. إذن ما الذي فعلَتْهُ بكِ الحياة؟ وإذن ما الذي ستفعله؟

« يا ألـــه !

أما كان أرحمَ لو حذفتَ النومَ مني

فلم أعرف مكاناً للحلم ؟».

نعم، هو ذاك : أعداؤك لا ينامون . وأنتِ ، كالنعامةِ النبيلة العاجزة، متحصّنةٌ بأحلامكِ التي يتربصّون بك في داخلها.

أبداً ، لا ينامون.

مع ذلك ،كمن يستغيث بقاتلِه، تتوسّلين إلى الهاوية أن تعيدهم إليك .. إلى ليلِ كوابيسكِ ونهارِ خيبتك :

" الليلُ عتمٌ

يزيده وحشةً غيابُ الآخرين " ....

لكأنكِ ، بهذهِ الضراعة ، تستنجدين بالعدمِ على صانعِ العدم .

كأنك - بها - النعجةُ الخائفةُ التي تشكو غيابَ الذابح .

كأنكِ، إذ تسعين إلى الحياة، تعيشين موتاً. أو كأنّ هيكل حياتكِ مصنوعٌ من مادّةِ عدمها الخالصة..مادّةِ الكلام. ما أغناكِ بهذا الفقر!..حقاً: ما أغناك!

نعم ! ذاك هو امتياز الشعر .

امتيازهُ . . لعنتُه .

●

«ناهدة عقل» أطمئنك . أنتِ الخائفةَ على فضائك وجناحيك، أطمئنك : الأعداءُ لا ينامون. وكلّ ما تهربين منه سيمشي وراءك. لأجل ذلك كان الشعر. عقيدةُ العدمِ هو. عقيدةُ الخسران هو. عقيدةُ المخذول، والقانطِ، ومكسورِ القلب.

: الشعرُ صيحةُ الوحيدِ ، وغصّةُ الخائف.

.. ..

ألطفُ ما في صوتكِ «ناهدة» أنكِ لا تَعِظين ولا تؤَمِّلين.

كلامكِ «حليبُ اليتامى»، الحليبُ الذي لا يَعِدُ طالبيه إلاّ بالمزيد من العطش والجوع .. وربما المزيدِ من الألم.

عشبةٌ في بور: ذلك هو . صدى تَنَهُّدٍ في عراءٍ قاحل : ذلك هو. ظلامٌ يلمعُ في باديةِ ظلام . أملٌ في أنّ ما هو آتٍ ليس إلاّ الخذلان كاملاً : ذاك هو ...

«**تدفئني شمسٌ للجميع** - تقولين -

ويجمّدني شتائي وحدي» .

ومع ذلك :

«ستذكرني حتماً في الشتاء

أيادٍ كثيرةٌ يُرَجّفها البرد» .

نعم .. ونعم ! إذا لم يكن هذا هو الشعر ، فعبثاً ننتظر.

.. .. ..

قلتُ : لا تعظين ولا تؤمّلين . بل ، فقط ، تحلمين .

تحلمين ما لا يُطال وتسعين إلى ما لا يُبلغ : ذلك ما يفعله الشعراء .. كلُّ الشعراء.

الذين يؤسسون للحياة ويرجون أن يكون احتمالُ الشقاءِ ممكناً .. ليسوا الوعّاظَ ولا المؤرخين ولا حَمَلَةَ الأعلام والبشائر ، بل أنتم : أنتم الشعراء. الشعراء، ذاك الصنف العليلُ من الكائنات، ذاك الجنسُ الحالمُ ، الأعزل ، الموعودُ بهلاكه. الشعراءُ الذين، بين الهذيانات والكوابيس ، يقفلون على قلوبهم بأختامِ ظلامها، ويحلمون باختصارِ الحياةِ إلى . . ضحكة .

الشعراء ؟! . . . طوبى ، وطوبى !

•

ناهدة عقل : هذا الشعر الزاهدُ المتواضع ، هذا الشعر الذي يتلألأ حياءً وضعفاً، هذا الذي يترف من صدوعِ هشاشتكِ وفمِ قلبك ، هذا الشعر الذي نطقتِ أو ذاك الذي تُضمرين : تستحقين قَدْرهُ من الحب ؛ قدرهُ لا قَدْر ما يعظ أو يؤمّل ؛ قدرَ ضعفهِ وحيرته .. لا قدر ما يَعِدُ أو يعطي. القصيدةُ لا تعطي. لا تُبْرئ ولا تنقذ . قيمةُ الشعر كائنةٌ في الخذلان .. كلّ الخذلان . لكنّ فقدان الشعر يظلّ هو العوزَ الأقسى والإصابةَ الأوجع : إصابةً في الجوهر.

في غياب الشعر : حياةُ الإنسان حياةُ جثة .

وحتى إذا صحّ أنّ الشعر ليس سوى رغبةِ صانعيه في تجميل الألم .. فتلكَ واحدةٌ من البركات : الألمُ أكثر خلوداً من الناس .

.. ..

مرةً أخرى : نعم ! لا تعظين ولا تؤمِّلين .

لكنْ ، في حياءِ خطوتكِ وخُفوتِ صيحتك ، يضيءُ قلبُ الخائفِ ويتفتّحُ وعدُ الجمال .

وعدُ الجمال؟.. ذلك كلّ ما يستطيعهُ الشاعر ، إذِ الشعرُ - أولاً وأخيراً - هو وعدُ جمالٍ، ومحنةُ جمالٍ، وإرادةُ جمال . لهذا هو - وحده - لقمةُ الضعفاء، وحليبُ اليتامى، وجرعةُ ماءِ المحتضرين ..

«لا يكون للماءِ القدرةُ على خلبِ الألباب - يقولُ شفيعنا الأكبر سانت إكزوبري - إذا لم يكن أولاً هديةَ الإرادة الطيّبةِ للبشر».

ناهدة : صوتُكِ هديّةُ هذه الإرادة

صوتُكِ هديةُ ماء .

نزيه أبو عفش

تنظيف

يحدثُ أحياناً أنْ أسألَني:
إلامَ أُرتِّبُ هذا الخَرابْ ؟

ما كانَ خراباً سيَظلّْ.
لا تنفعُ أحلى الأكاليلِ في تزيينِ قَبرْ
ما كانَ قبراً سيظلّْ.

أسأَلُني لكنْ، لا أُجيبْ
أبكي وحسبْ..
أبكي بمرارةِ طفلٍ مقموعْ
أو عاجزٍ يشتهي رَكْلَ عدوّهْ،
أبكي بغضبٍ مسموعْ
وفمٍ صامتْ.
تُرى كيفَ بإمكاني أنْ أحتالَ علَيّ؟

كيفَ بإمكاني أنْ أَعمى
وليسَ لديَّ
إلاّ عيناي...؟

كيفَ بإمكاني أنْ أَنسى ؟

أحياناً أخرى، يحدثُ أنْ أرأَفَ بي :
أَعِدُني بفردوسٍ ينتظِرُ حُماةَ الجَمالْ
أعِدُني بملابسَ بيضاءَ
وأجنحةِ ملاكْ ،
برفءِ ما اهترأَ مِنْ هذا الجَسَدْ
وتمزّقَ في الروحْ ،
بخلاصٍ مِنْ دوّامةِ الألَمِ
ولُهَاثِ النَفَسْ.

أعدُني بِراحةٍ ما بعدَها راحهْ...
بِطهارةٍ من غُبارِ الخَرابْ.

أعِدُني بي
كما أشتهي.

٢٠١١/٣

خـوف

كَكُلِّ العصافيرْ
أخافُ مِنْ أيّةِ نَسمةٍ طارئةْ
أو صوتِ غريبٍ يقطعُ صمتَ الغيمِ حَوْليْ.

يُخيفُني كلُّ جَفنٍ لا يَرفّ،
عينٍ تتفَكَّرُ قبلَ أنْ تَشعُرْ،
أو قلبٍ يتردّدُ في الخَفَقانْ.

ويُخيفُني أكثَرْ وَقْعُ كُلِّ الخُطَى الصّاخبةِ الواثِقَهْ.

ككُلِّ البَشَرْ
أخافُ دوماً عَلَيّْ
على فضائِيَ النقيّْ

أخافُ أخافْ
وأكثر مَا أخافْ
على أغلى مَا لدَيّْ:
جناحَيّ .

٢٠١١/٥

إرثُ الألم

ها أنا أنتِ يا أمّي
فلتفرحي ملءَ قلبِكِ .. ملءَ كلِّكِ .. ملءَ هذا المِلءْ
ها أنا الآنَ مثلُكِ.

لي مشيتُكِ، لونُ وجهكِ، وذاتُ خشونةِ اليدينْ
مرارُ قهوتكِ الصباحيّ
وعددُ سجائرِ ما قبلَ النوم.

لي ليلُكِ الطوّيـــل الكئيبْ
وعُسْرُ النومِ مع ألمِ الظَهرِ وطقطقةِ المفاصلْ.

لي نهاراتُكِ ذاتُها
وَ سُبُلُ وأدِها ذاتُها.

ها أنا لا أفعلُ إلاّ ما تفعلينْ:

أطاردُ يومي بكنسِ غبارِ الأحلامْ
أنظّفُ جسدي من كلِّ لوثةِ حبرْ
أُهيّئُ كلَّ عدَّةِ الحياه
ثمَّ،
أعتذرُ عن الحياهْ.

بتُّ - كما تشائينْ -
بائسةً وراضيةْ
ممتنَّةً لنِعَمٍ لا أرغبْ
ودعَواتٍ آملُ ألاّ أسمَعْ.

بتُّ حاضرةً جديّةً على الدّوامْ
كاذبةً عاديةً على الدّوام.

بتُّ كما ترغبينْ
صالحةً لثناءِ الجميعْ...

بتُّ أنتِ.

٢٠١١/٣

فَرَحْ

لا فرحَ يزورُني

لا فرحَ
يلوحُ كطيفٍ في الأُفُقْ.
ولا يُهَيَّأُ لي أنَّ فرحاً
سيطرُقُ يوماً
بابَ هوائيَ الكئيبْ.

لا أفرحُ .. ولا أنتظرُ فرَحْاً
لا أذكرُ فرحاً .. ولا آمُلُهْ
نسيتُهُ ، فباتَ غريباً عن دارِ نفسي:
صرتُ أخشاهْ.

أوْ لعلّهُ الفرحْ:

أملي بخلاصٍ مِن وافِدي حزنٍ جُدُدْ؟

ما عادَ يعنيني معناهْ ....

فرحي بابٌ موصَدْ:
أنْ أستَضيفني قليلاً علّيْ
أُريحُ ظَهرَ ضيفي
من حِمْلِ ماضيهِ الثقيلْ
أو لعلّي أمنحُهُ بيتاً أرحَب لِرَكْنِ عُدَّةِ الأحلامْ
أو حتّى لعلّي، أُسلّي ضيفي
بالثرثرةِ عنْ
أهوالِ نفسيْ.

٢٠١١

أَلا أيُّها النَّقْصُ
كُنْ كَامِلَ النَّقْصِ فيَّ
فأنتَ جميلٌ لأنَّكَ نهرٌ تعيشُ
لماءٍ سيأتيْ.

جوزف حرب - المحبرة

مَرَض

على سريري
ككلِّ المرضى
أكتبُ شِعري.
ولا مرضَ بي، سوى أنّي
عليهِ أنامُ وحديْ
عليهِ، أصارعُ ليليَ وحديْ.
ووحديْ تُوقِظُ نفسي صورةُ نفسي.

وحديْ آخذُ بيدِيْ
لعبورِ نهاري المُضني
ثمّ وحدي
أضيءُ عتْمةَ روحي قليلاً
خوفاً من وَحشةِ نوميَ
وحديْ.

٢٠١١

أعراضُ الحياة

دوماً
إذْ أفرحُ من قلبي
أبكيْ

وإذْ أحزنُ   أبكيْ

وإذْ يصطادُني دمعٌ مرٌّ
أخنقُهُ في جوفيْ.

لذا لا أخشى عليّْ
إلاّ حينَ لا أبكيْ.

نَــومْ

فلأَنَمْ
علَّهُ يهجرُ رأسيْ ضجيجُ الأَلَمْ.

في النومِ ..
لا صحوَ قاسٍ
في النومِ ... حُلْمْ
-لا مكانَ أكونُ فيهِ ولا أرتضيهْ
-لا وقتَ يحفرُ في جسدي كالسيفِ الجائِرْ
... لا سجنَ يخبُلُ العقلْ
-لا قلقَ سرعةٍ يهزُّ الجسمَ بعُنفْ.

في النومِ ...
موتٌ لذيذٌ .. ومُتَاحْ.

لكنْ   يا اللـــهْ
يا اللـــهْ

أمَا كانَ أرحمَ لو حذفْتَ النَّومَ منّي
فَلمْ أعرِفْ مكاناً للحُلْمْ ؟

أما كانَ أرحمَ أنْ أبقى طفلاً
أو أحظى بِنِعَمِ النباتِ
أموتُ وأحيا بلا ألمْ ؟.

أطفال

إلى الطفلة
مادلين خوري

كأنّهم يأتونَ مِنْ عالَمِ الحزنِ ذاتِهْ :
يلعبونَ ويلعبونْ
وكأنَّهُمْ يعرِفونْ
عَزاءَ اللَّعِبِ الحنونْ

كأنّهُم يُدرِكُونَ ألاّ جدوى لتمارينِ النِسيانْ،
سوى وَأدِ الوقتِ المُتَاحِ للذكرىْ.

وكأنّما، بِخُبثٍ، يُعلِّمُنا الأطفالُ إذْ يلعبونْ:
حلَّ الحياةِ الوحيدْ.

انظرْ كَمْ فَراغَ عيونِهم يملؤُهُ الرجاءْ؛
كَمْ يُجفِلُهُ الخَوفُ إذا مَا لَمَحوا في عينيكَ ظلَّ القسوة
أو ملامحَ التنصّلِ الخجولِ مِنْ هِبَةِ الرحمةْ ...

انظُرْ كَمْ يخشَونَ الوحدةَ
كَمَنِ اختبرَ حياةَ نبيٍّ قديمْ.
كَمْ يبكونَ ويبكونَ كلّما شارفوا على النومِ وحيدينْ
وكأنَّ النَّومَ سريرُ ثُعبانِ ماضٍ أليمْ.

انظرْ كَمْ يجهشونَ بدَمعٍ مُرٍّ
كلَّما استيقَظُوا والعالَمُ عَتْمٌ
يَزيدُهُ وَحشَةً
غيابُ الآخرينْ.

مُكالَمة

حَسَنَاً
لِنَعُدْ لِحديثِنا ..

بِخَيرٍ أنا
كُلُّ مَا بِيْ لا يَعرِفُ شَرَّ الخَارِجْ:
أظافِري بِخَيرْ ... قلّمتُها مُذْ رأيتُكَ آخِرَ مَرّةْ
مِئَةَ مَرّهْ.

أظافِريْ بِخَيرْ. .. وَشَعري، شَعريْ بِخَيرْ :
رُبَّما غَيَّرَ جَرْيُ الشُّهورِ لونَهُ ، وَطَالْ
نَسيتُ أنْ أُخبرَكَ أنّهُ طَالْ.
كَمْ مَرَّةً طَالَ وَقُصَّ وَطَالْ

عَيناي بِخَيرْ: لا زِلتُ أَلمَحُ مَا أَلِفْتُ مِنَ الصُّوَرْ .. وأَبحثُ
- دوماً أَبحثُ - دونَ قَصدٍ عَمّا يُشبِهُ وجهَكْ ..

وَجهي أيضاً بِخَيرْ ... يَداي كذلكَ وَجَبيني ..

كُلِّيْ كُلِّيْ بِخَيرْ.

لِنَعُدْ لِحَديثِنا الأوَّلْ : كيفَ أنتْ؟
- بِخَيرٍ ، بِخَيرْ .... أَراكِ رُبَّما بعدَ شَهرينِ وأَكثَرْ ..
فلنُنهِ حديثَ الهاتفِ ، كُونيْ بِخَيرْ.

وغابَ وغابْ وأنا يُضجِرُني مَا بِيْ مِنْ خَيرٍ فَأنامْ
وأرغَبُ ألاّ أقدِرَ حينَ يُعاوِدُ رَنَّ الهاتفِ أنْ أُخبرَهُ:
" لا زِلْتُ بِخَيرْ"...

لا   لَسْتُ بِخَيرْ
لَسْتُ بِخَيرْ.

...... الصخرُ يتعبُ أيضاً.
يتعبُ الكلسُ فيهِ، ويتعبُ فيهِ الحديدُ، وتتعبُ ذرّاتُهُ
الغامضاتُ ......

نزيه أبو عفش - الراعي الهمجي

مستقبل

وكأنّما جفّت عروقيَ مِن نَسَغِ الأحلامْ
بتُّ لا أنتظرُ الآتي
لا أحتملُ خداعي بوهمِ الآتي؛

سأصيرُ كما أنا الآنْ
سأصيرُ نفسيْ
ستصيرُ لي هيئةُ جرحيَ ذاتِه
سيُعَتّقُ حزني في جرارٍ على هيئةِ جسمٍ حيّْ

سأصيرُ ما كنتُ مُذْ جئتُ،
نجماً خرجَ مِنَ العتمة
فظلّتْ طيلةَ عمرهِ تلتفُّ حواليهْ
أو ربما
سأصيرُ دمعه
لا تخرجُ إلاّ مِنْ نورْ
لا تُرَى إلاّ في العتمةْ.

إيمـانْ

أرجوكَ

هاتِ يَدَكْ

أرجوكَ .. هاتِ يَدَكْ.

أعرِفُ أنَّ البحرَ كبيرٌ وخطيرْ
لكنْ - صَدّقني - لَنْ تَغرَقْ
إنْ وَثِقْتَ بِحُبِّ يَدي لِيَدِكْ.

إنْ أنتَ مَدَدْتَ يَدَكْ
سَيَصيرُ جسدي خَشَبَةْ
يَدايَ مِجذافَينْ
وَبِأَمْنِ نوحٍ سأحمِلُكْ.

أرجوكَ

هاتِ يدَكْ.

هِباتُ اللّيلِ

في اللَّيلِ أَطمَئِّنُ لأَنَّ
أعدائِي ينامُونْ
للظَّلامِ حُرمَةٌ يَخافُها الآخَرونْ..

لا أحَدَ يُجبِرُكَ على الكَلامْ
لا أحَدَ يَرقُبُ حزنَكَ بعيونِ الخُبثِ أو الرّثاءْ
لا أحَدَ يتلصَّصُ بِمَكرٍ على جماليّاتِ جسمِكَ الآيلةِ للزّوالْ

هوَ اللّيلُ ستارٌ بِحَقٍّ
روحُكَ حُرّةٌ في البُكاءِ .. في الرَّقصِ..
أوْ حتّى العَويلْ
شرْطَ ألاّ يُوقِظَ ذئبَكْ .. صوتُ حزنِكَ أوْ فَرحِكْ

يَداكَ حُرَّتانِ في العَملِ أوْ الرَّاحهْ
دونَما غَريبٍ يَقيسُ نفعَكَ بِعدَدِ حركَاتِ يديكْ.

رأسُكَ مَحميٌّ مِنْ حِجَارةِ الغَيْرَةِ والغَضَبْ
عيونُكَ تَرتاحُ مِنْ صُوَرٍ تُحاوِلُ -طيلَةَ النَّهارْ-
سَتْرَ سوادِها.

قلبُكَ هَادِئٌ إلاّ مِمّا تَراكَمَ فيهْ.

وحدَكَ سَيِّدُ نفسِكَ الآنْ
لا تَرى إلاّكَ
لا تَسمَعُ غيرَ صوتِكْ
لا تَشتَمُّ سوى رائحةِ النَّدىْ
لا تَتذوَّقُ إلاّ مِلْحَ دمعِكْ.

في اللّيلِ
على سريرِكَ وحدَهْ
تختَبرُ المَكانَ الرَّحْبْ.

هَا هوَ المَدى يُخبِرُكَ:
كَمْ ضَيَّقُوا عليكَ
كَمْ ظَلَمَوكَ
كَمْ أهانُوا أجنحتَكَ الضَّعيفةْ.

ها هوَ اللَّيلُ بِقَمَرِهِ أوْ بِدونِهِ يُعَزّيكْ
يُخبِرُكَ أنّكَ وحدكْ
جديرٌ بِبَعثِ شمسِهِ
جَديرٌ بالبياضْ.
ها هو وَجهُهُ فائضٌ بِدَمعٍ نبيلْ
يشكُرُ أنّكَ وحدكْ
صديقُ الحياةْ؛

نوحٌ يَكدَحُ ليلَ نهارَ باسمِ الحياةْ
ويعرفُ أنَّ ثمرةَ جُهدِهْ

ليستْ أكثرَ مِنْ صلَيبٍ

سيصنَعُهُ مَنْ نَجّاهُمْ

مِنْ خَشَبِ فُلْكِهِ بالذّاتْ.

٢٠١١/٨

لا أحَدْ

لاْ الأغاني الحَزينهْ

لا السينما المُعزّيّهْ

ولا حتّى كتُبُ دواهي المَعرفهْ

لا شيءَ ... وَلا أحَدْ

باتَ يَقدرُ يَحمِلُ وِزْرَ نَفسي عَنِّيْ قليلاً

لاْ "أنا" تُخفِّفُ مصابيَ بِأناي

حتّى أَنا.

أتُراني مَا عُدْتُ أَحتمِلُ "احتمالَ" الأَلمْ؟ - أَقولُ لي - .

وأسأَلُني بِصبرٍ ضَاقَ بِكينونتهِ:

مَا الذي يُبقيني هُنا؟!

لا شيَ ترغبُهُ نفسي هُنا
ولا أحَدَ هُنا .. لتنتظِرَ عَزاءً لا يُرضيْها..

فلأرحَلْ إذاً مِنْ هُنا
ولأَمضِ حَيثُ تُقذَفُ صلبانِي لِيَمِّ الحَياةِ دُونِي،
فَأموتُ رَاضيَةً بِظَهرٍ خُفِّفَ عَنهُ بَعضُ الأَلمْ.

أعرِفُ أنّي كالأغاني : جَليلةُ الحزنْ
أَو السينما : سِحريّةُ العَزاءْ
وأنّي أُهدي الحيَاةَ بِحبري أجملَ ما خَطَّ دَمٌ على جِدارِ الورقْ
لكنْ ؛
أنهكَ بي طريقُ الشوكِ قدمي الدّاميةْ
وطيفَ روحيْ المَفجوعْ بِغيابِ ال "لا أَحَدْ".

٢٠١٠

حقٌ مسلوب

/قرميدٌ لقدَمِ الطير/

كما الشجرْ

هذا القرميدُ الذي يصنعُهُ البشرْ،
حقٌ شرعيٌّ لقدَمِ الطائِرْ.

أسلاكُ الكهرباءْ
والأسطحُ البَشِعَة كذلك،
حقٌّ حصريٌّ – وإنْ كانَ يعافهُ كلُّ طائرْ -.

لأنَّ هذا الكائنَ النبيلْ
- فارغَ الجيبِ إلاّ مِنَ الهواءِ النقيّْ -

لا يفعلُ إلاّ أنْ يجعَلْ

قرميدَنا أجملْ

أو يقفَ عمداً على قُبْحِ ما صنعناهْ

لئلاّ يراهْ.

بــردٌ

وحيدةً
مع كلِّ هذا البردْ ...

أنظرُ لغَدي   فأعرفُ أنّي سأكونُ وحدي
وداخلَ نفسيْ
في غابةِ نفسيْ
يتهدّدُني وحشُ أمسيْ.

ها هنا .. ليسَ ثمّةَ مَنْ
ليسَ ثمّةَ ما
كلُّ مَن أحبُّ بعيدْ
كلُّ ما قدْ يُشعِرُ الحيّ أنّهُ محميٌّ وآمِنْ
لا سبيلَ لي إليهْ.

أنظرُ لي الآنَ فأراني
- طيلةَ النهارْ –

أخاطبُ صورَ مَن أُحبّْ
أختبرُ حقيقةَ جدرانِ بيتيْ
أُعِدُّ ما كانت تُعدُّهُ لطعاميَ أمّيْ

علّي – ولو لبعضِ الوقتِ -
أشعرُ أنّي
ما عدتُ وحديْ.

٢٠١١/٨

صُوَرٌ

يا جســـدَكْ
كم يشبهُ ألبومَ صُوَر

صوَرٌ وصوَرْ
ألقى فيها أمكنةً .. أزمنةً .. بشَرْ
أُسمّيها خطواتٍ مشتها قدماكَ
فأُقبّلُها بحُبٍّ وآمُلْ:
ألاّ تلقاني امرأةٌ يوماً
صورهْ في ألبومِ صوَرْ.

خبزُ الطيرِ

وكأنّي شخصٌ يشبهُني
كأنّي لستُ أنا ... لا أعرفُني
من ذاكَ المُتهاوي مِنْ قمّةِ يأسِهِ إلىْ،
ما يشبهُ الحياه؟

مَن دفعَهُ لهذي الهاوية؟
مَا الذي جرَّهُ مِنْ تَرَفِ الحزنِ إلى جحيمِ "البَقاء" ؟

مَن أخذَ خبزي ورماهُ قذراً على مائدةِ جوعي؟
ألا خبزَ لي ؟
وأينَ نصيبُ نُسّاجِ الأحلامِ المَهَرة؟!

حسناً .. خذوهُ .. كُلوهُ

لكنْ ... أينَ بيتي؟

- صوتُ المعدنِ والإسمنتِ يقولْ:
لا أمْنَ لِمَنْ يُراقِصُ الريحْ،
لا بيتَ لِمَنْ لا يبني عمرَهُ حجراً فوقَ حجرْ.

- لن أمكثَ طولَ العمر -أقول - ، قليلاً وأرحلْ.

- لا أمنَ لمن يراقصُ الريح – يُكرّران –

- لكن .. يا ربّ .. لكنْ .. يا ربّ "أصيحُ"
فتدوي كلماتٌ في أرجاءِ معدةٍ جوفاء
وريحٍ غاضبةْ ......

٢٠٠٩

سرُّ الصبر

ضلوعٌ كأنّما انتُشِلَت للتوِّ من قاعِ البدنْ؛
أعصابٌ مزّقَتها فجيعةُ الروحْ؛
عُقمُ النفسِ في تجسيدِ شكلٍ من أشكالِ الحلم؛
وخزُ الذكرى السّامْ ...؛
تصوراتٌ مُنهكَةٌ عن تعبِ الطريقِ الآتي بلا شكّ؛
رجفةُ الأيدي عاثرةِ الحظّ ؛

تلعثمُ الصوتِ على بوابةِ الفمِ القويّ
حزنُ العيونِ الطموحةِ القاصِرة؛
فيضانُ الدمِ المكبوحُ بسدودِ الجلدِ الجبّارة؛
حرقةُ المعدةِ المطفَأةُ بالصمت.

كلُّ هذا بي ..

ولم أزلْ .. أحبُّ .. أحلمُ.. أمشي ..
لأنَّ الألمَ ذاتَه
يعدُني بحياتي دونه
يعِدُني ب " موتِه".

٢٠٠٩

قصّةُ حبّ

كانَ إذْ يأتي بعدَ غيابٍ طويلْ
يغمرُني لدقائقَ ثمَّ يمضي ..

هوَ لا يتركُني .. يُؤخَذُ منّي
يرضى .. أرضى
يذهبُ .. أبقى وحدي.

محضَ غيابٍ كانَ ما بيننا ..
لكنّنا كنّا نُحبّ.

كنّا نُحبّْ ... فصيّرنا الحبُّ رعاةَ غيابْ:
إذْ تشرقُ شمسُ الصّبحِ نظلُّ نلاحقُ ظلَّ الغيابْ
وإذْ ترحلُ .. لا نفعلُ إلاّ أن نبكيْ عبثَ تعبِ النّهار:
وهمَ محوِ الغيابْ.

كنّا نحبُّ
لكنّهُ الحبُّ
لكنّها الحياه

ألمُ غيابٍ
ثمَّ غيابْ.

أعلى

إلى «ميادة»
شريكتي بالعيشِ في النورِ الخافتِ

ها أنا ذا

أقفُ ثانيةً

أمامَ المرآه ..

أتخيّلُني طيراً .. وردةْ .. غصنَ نباتْ

ما أخفّني يا الله

وما أثقلَ حِملي!

الآنَ فقطْ أفهم

حلمَ مسيحكَ أن ترفعَهُ إلى أعلى

الآنَ فقطْ

أعرفُ مغزى أنْ يستجدي إلهُ الماءِ الهواءْ

الآنَ فقطْ؛ وأمامَ ذاتِ المرآه
أقولُ بصوتِ مسيحك:

ما أخفَّ الصليبْ
ما أثقلَ ما تراكمَ في عمقِ الماءْ.

كعكةُ عيد

مرَّ وقتٌ طويل
على أنْ تجمعَنا كعكةُ عيدٍ يا أمّي
مرَّ وقتٌ طويلْ

لم نعُدْ صغاراً
لم تعودي صغيره.

مرَّ وقتٌ طويل
فلنعتِقْ بعضنا إذاً :
تُعفينني من المراقبة
وأعفيكِ من دورِ السجّانْ

مرَّ وقتٌ طويل
فلنتودّع .. لنلتقي

كما يليقُ بنا ..
كما نشتهي.

أرجوكِ لا تتظلّمي .. أعرفُ كما تعرفين:
حليبُكِ باتَ مسموماً
وفمي عافَ غذاءَ الدسَمْ
لم يعُد هناكَ كثيرٌ يا أمّي
نحياهُ بلا ندمْ.

فلتكتفي برضا اللـــه
وأنا يكفيني
بابٌ مفتوحٌ
أخرجُ منهُ عاريةً
دونَ أن يتلقفَني سورُ يدِكْ.

دعينا نوسّعُ بيتاً ضاقَ بنا
نغادرُ صوراً ملَّت تأمّلَنا فيها:
تودّعينَ وجهاً يذبحُكِ بؤسُه

وأودّعُ خوفي
مِنْ صورةٍ لا تشبهُني
قد أكونها حينَ أكبرْ.

٢٠١٠

حــقّ

كلَّ يومٍ أقولُ لي:

سينتهي لا بدَّ واجبُ العيشِ اللّعينْ

وسأخرجُ لا مَحالة

مِنْ هذا النفقِ المعتِمِ،

لأمارسَ حقّيَ في اللّعِبِ

وأركضَ ما شِئتُ على مروجِ أبي الخضراءْ ...

لكنْ.

لعلّهُ فَرْضٌ أبَديٌّ

لعلَّ نزهتي محضُ وعدٍ كاذبٍ:

وسيلةٍ لأُنجزَ ما عليَّ بغيرِ يأسِ العارفِ
أو حزنِ المُحبِّ الكتومْ

لعلّي سأمضي
تماماً كما جئتُ : رغماً عنّيْ.

لعلَّ "الكِبار"
ومنذ زمانٍ بعيدٍ بعيدْ،
سرقوا كلَّ ما أُحبُّ مِنَ اللُّعَبْ
وأحرقوا مزارعَ جدّي الحزينْ

لعلّ خلفَ جدارِ بيتي
لا يقبعُ إلاّ مزيدٌ مِن اسمنت القسوة وقضبانِ أعداءِ الحياهْ .

- مِنْ حقّ الطفلِ أحياناً أنْ يسألَ عمّا يعرفهُ الكلُّ ولا يجيبُ عنهُ أحدْ.

- مِن حقّ الطفلِ دوماً أنْ يشكَّ بصدقِ وعودِ الكبار.

ومِن حقّه أيضاً –إذْ يكشفُ كذبَ الوعدِ بعدَ دفعِ الثمنِ الباهظ للأمَلْ -
أنْ يركلَ ما يشاءُ
متى يشاءُ
ويبصُقْ
على الأمل.

قليلاً .. وأرحل

قريباً
وأطمئِنُ نفسي:

لنْ يطرقَ بابي أحدْ
لنْ تصرخَ أمّي
لن يأمرَ ربُّ البيتِ وربُّ العمل
لن يأتيَ أحدْ .. ولن أخرجَ لملاقاةِ أحدْ.

لنْ .. ولنْ .. ولنْ.
ستبقى أشيائيَ في مواضِعها
لن يعبثَ فيها أحدْ.
سيبقى مكاني وفقَ مشيئتي
نظيفاً مرتّباً .. وبمنأى عن عينِ أحدْ.

قريباً
ويسلَمُ جدارُ أُذُنَيَّ
من أصواتٍ تهدُمُهُ
وصلواتٍ تضجرُهْ

قريباً
وأغلقُ بابيَ دوني
طاردةً كلَّ أغرابِ نفسي
من ضجيجٍ وخوفٍ وضجرْ

قريباً
وأخلدُ للنّوم
لا يجرؤُ أنْ يوقِظَني أحدْ.

مــاء

في قاعِ الكأسِ
كما في قاعِ البحرْ:
"شيءٌ صلبٌ".

لكنّيَ ماءٌ وحده.

هل ليْ بكأسٍ
أو ببعضِ الصخرْ؟

لا أَطلبُ .. ولا أُجابْ
جئتُ وحدي .. وأذهبُ وحديْ.

لكنْ،

هل لي ببعضِ الملح؟

لن أطلبَ .. وآملُ - مهما اشتدَّ بي الضعفُ - ألاّ أُجَابْ.

هكذا صرتُ وحدي تماماً
تدفّئُني شمسٌ للجميعْ
ويجمّدُني شتائيَ
وحديْ.

نحتٌ

أنحتُ حزني بالصبرْ
أنقّيهِ من غبارِ الآخَرْ،
غبارِ حضورِ أو انتظارِ الآخَرْ.
أُصفّي ماءَ عينيْ من دمعِهِ
أغربلُ دمي إلاّ مِن هواجسِ الروحِ الأولى

ثمَّ أجلسُ في فردوسي المنزّهِ عن كلِّ عيبْ
كإلهٍ طيّبٍ طيّبٍ وحزينْ.

لا، لا لأنّي إلهٌ
بل لأنَّ الحزنَ صيّرني
- ككلِّ إلهٍ -
منحوتةَ طينْ.

٢٠٠٩

حلمٌ صعب

دوماً أكتشفْ

إذْ أهربُ من مكانٍ لمكانْ

أنّي في سجنٍ آخَرْ.

لذا ككلّ السجناءْ

أتوقُ دوماً

لهواءٍ نقيّ .. شجرٍ ونهرٍ وبضعِ ورودٍ صغيره.

تعويذةٌ لطردِ الزواحف

لا تصدّق يا أخي

ليسَ هناكَ أفاعي ليلٍ عملاقه

قد تخرجُ من علّيّةِ بيتكَ

أو تحتِ سريرك

أو مِنْ تحتِ جلدكْ.

لا تصدّقْ:

هناكَ فقط

بعضُ أهلٍ ..أصحابٍ .. أربابِ عملٍ أو تجّارِ حياه

يلتفّونَ نهاراً حولك

فتبصرهم عُراةً في ليلك.

السمُّ يحتاجُ وقتاً ليتغلغلَ في الدمْ..

وقلبكَ المعافى

يحتاجُ وقتاً أطولَ بكثيرْ،

ليدركَ أنَّ أيدي مُسعفيه

أذرعُ أفعى تمتدُّ لخنقهِ

من قالَ لكْ .. من أوهمَه

بأنَّ الأفعى إلهةُ طبٍّ ودواء؟!

لا عليكَ .. تداوَ كما شئتَ

لكنْ لا تخفْ يا أخي

ولا تصدّقْ أنَّ وحشاً قد يتهدّدُكَ وأنتَ وحدكْ.

خَفْ فقط وأنتَ توهِمُ نفسَكَ معهم بأمنِ نفسِكْ.

خَفْ كلّما أحاطوا بكْ

خف أياديهم

خف أنفاسهم

أبعدهم لحفظِ سكينةِ نفسك

لئلاّ تُكثِرَ رؤيتَهم قبيلَ أو أثناء

نومكْ.

نثريات

الحبُّ لجوءٌ لبيتٍ أرحَبْ.

حينَ يضيق

لا تَرثِ لِعَرَقِ جبينكَ فيه

ارسُمْ صليباً على بابهِ وارحلْ.

....

حجمُ الماردِ في صورةِ الحُبّْ

مجازٌ لطفلٍ كبِر فجأة

ومضى يبحثُ عن أمٍّ ثانية..

....

علّمني يا اللـــه

قدْرَ ما تستطيع

أنْ أقولَ لك: شكراً من قلبي.

....

مشيتُ

خطوةً

لا أكثرَ نحوَ البعيد

فمشَتْ

كلُّ الفراغاتِ التّي أهربُ منها

ورائيْ.

....

لكَ رائحةُ الماء

بسيطةٌ وعظيمةْ

لي منكَ ارتجافٌ تُحدثُهُ الريحُ كلّما داعبَتْ خدّي الراكدْ

كمْ أنتَ كثيرْ

على ورقةِ خريفٍ مثليْ.

....

"أيّها الشاعر"

يسمّونكَ العاطل عن العمل .. والأملْ

يُسمّونكَ .. يُسمّونكَ .. يُسممّونكْ

وأنتَ وحدكَ نوحٌ يكدحُ ليلَ نهار

لرفعهم مِنَ الغرقْ.

....

حين رحلتْ

تركتَ لي .. نطفةَ الانتظارْ

الآن، طفلكَ يكبَرْ

وأنا، لا زلتُ هنا

أرعاهُ وأكبَرْ.

....

لا تتركني هكذا

أتردّدُ على بابِ فمك

أتسوّلُ ما يَشيْ بالحبّْ.

....

حينَ تنعتُني عيناكَ ب"الغريبة"

أعودُ إلى جرّةِ نفسي

أؤنّبُني لأنّي أقلقتُ سكينةَ الجرّة

وخلعتُ وشاحَ الروحِ الأسودِ قبلَ أربعينِ الجرح.

....

تُطبِقُ شفاهكَ على الكلمة

فألتقطُ حروفاً برائحةِ عِطرك

لا تكتملُ كَجُمَل،

بل تبقى حروفاً برائحةِ رجُلْ.

....

مليئةٌ قصائدي بالماضي

لا يشغلُ الحاضرُ منها إلاّ تاريخَ التدوين.

....

حينَ أكتبُ لي، أُخاطبُ غيري

ذاكَ أنّي الآنَ

أُخاطِبُني في الماضي.

....

لا، ليسَ ماضياً ما يشغلُ منّي كلَّ هذا الحضورْ

ليسَ ماضياً.

....

دائماً، حين أمضي

أتركُ كلَّ شيءٍ

لا أودّعُ أحداً

وأخفضُ عيني لئلاّ أُثقِلَ روحي بالصُّوَر.

مع ذلك

دائماً

يعجزُ جسمي عن حَملي.

....

يقتلني صمتُ الأشياءِ حينَ أودّعها

لا أريدُ للصورةِ أن تسقطَ مثلاً

ولا لقَدَمِ الطاولةِ أن يتقدّمَ إنشاً

لعلّ أكثرَ ما أريد

أن يغلق بابُ البيتِ بابَهُ

وتغمرُني أشياؤُهُ.

....

حينَ أكتب باليد اليسرى

يغنيني هذا عن قول: قلبي يُؤلمني.

....

استقِمْ

أكثر

أيّها

الطائر

يلزمُكَ

لتشفى من الطيران

تعلّمُ بعضِ رقصِ الإنسان.

....

نشدانُ الوحدة: ذاكرةٌ طافحةٌ بالألم

....

نعمْ، ليسَ ثمّةَ مستحيل

لكنْ، لكلٍّ مستحيلُهُ

....

هوَ الشِعرُ
نكءٌ للجرحِ أكثرْ
إمعانٌ بالحلْمِ أكثرْ
دروسٌ مكثّفَةٌ لئلاّ تنسى الروح
قيدَها المرّ الأوّلْ
عزفٌ على ذاتِ المواضِعِ
حيثُ يُطلُّ الألمُ بزيّهِ الرسميّ،
يؤدّي تحيةَ جنديٍّ مقهورٍ
لسيدهِ الواقِعْ.

....

غداً
حينَ أجفُّ منَ المطر،
سأعتادُ الكذب
على سطوحِ المنازِل
وآذانِ مَن أُحبّْ.

....

الحبُّ قطرةُ عَدَمٍ

في العدَمِ

لا تنجبُ أطفالاً

بل يشطرُكَ الحبُّ أجزاءً.

....

ستذكُرُني

حتماً

في الشتاء

أيدٍ كثيرة

يُرجِفُها البَردْ.

....

هنا .. تحتَ غطاءِ هذا الورق
تقبعُ نفسٌ حيّة
بينَ خطوطِ الجلدِ الأفقي والمستدير
يقبعُ نهرٌ من حزنٍ صافٍ
لا يقطعُ جريانُ الحبِّ فيه
سوى بضعَ حجارةٍ
دُفنَتْ لرجمِ الآلهة.
....

كانت تنتظر
بقليلِ القليلِ مما بقيَ مِنَ الصبرِ تنتظرْ.
تُرى
كم كانَ الـــلّهُ بعيداً
ليتركها كلَّ هذا الوقت وحيدةً تنتظر ....
....

ليديكَ شكلُ خارطةٍ قديمة
قضيتُ قبلَ أن أهتدي إليها
خمساً وعشرينَ عاماً في الضَلالْ.
....

في غيابكَ
لا أرى صورَك
بل أتأمّلُني في المرآه
أراني أكبَرَ .. أكبَر..

أفكّرُ فيكَ
يُطمئِنُني أنّكَ موجودٌ
فأعودُ أصغَرَ منّي.

ثمَّ أمسحُ عيني
أمسحُ سطحَ المرآه

فأخبّيءُ بين أصابعي
تقاطيعَ وجهي الخادِعْ
وأبكيْ.
....

كلامكَ حليبُ يتامى
أنا قطةٌ لا تملُّ المواءْ.

....

أستَغيثُ منكَ باسمِكْ .

....

كلّما أفرغتُ حزني على الورق
أبكاني تبعثُرُه.

....

ناهدة عقل

الفهرس

الصفحة

الصفحة

الطبعة الأولى / ٢٠١٢م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة

مشيتُ

خطوةً

لا أكثرَ، نحوَ البعيد

مَشَتْ

كلُّ الفراغاتِ التي أهربُ منها

ورائي.

ناهدة

www.syrbook. gov.sy

مطابع وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٢م

سعر النسخة ٦٠ ل.س أو ما يعادلها